استراتيجيات القوى الإقليمية والدولية في منطقة (الشرق الأوسط)

أ.م.د. مصعب يوسف (*)

أ.م.د.عبدالوهاب كريم حميد

المقدمة

الشرق الأوسط مرادف للمنطقة التي كان الأمريكيون ومعظم الأوربيون في الماضي غير البعيد يطلقون عليها مسمَّى «الشرق»، وقد كان هذا الشرق قبل بدء تنافس الاستراتيجيات الدوليةمطلع القرن العشرين يتكون من منطقة واسعة، تمتد من الأناضول وتراقيا الغربية إلى شمال إفريقيا ومصر، ومن الجزيرة العربية إلى الخليج العربي، كما كانت البلاد الخاضعة لسيطرة العثمانيين في أوروبا وآسيا الوسطى تندرج أيضاً تحت هذا التصنيف، إلا أنها أصبحت أقل شرقية بعد حصولها على الاستقلال.

لاحقاً، شكل سقوطالامبراطورية العثمانية محفزاً مهماً لتطورالتنافس الاستراتيجيللقوى الدولية نحو تقاسمجغرافيا الرجل المريض وتحقيق أهداف ما عرف بالمسألة الشرقية[1]، ولتتحول الجغرافيا المتقاسمة إلى حلبة تنافس متجددة الأدوار والمشاريع بين الاستراتيجيات الدولية، ما سوف تهيئ في أوقات لاحقة لتوليد لاعبين استراتيجيين إقليميين في ساحة صراع يطلق عليها الشرق الأوسط.

١-١-أهمية البحث

تتبدى أهمية هذا البحث في أنه على الرغم من كثافة الإنتاج العلمي في هذا المجال، إلا أنه من الموضوعات الحيوية المتجددة، فالتفاعلات الجديدة في ساحة التنافس الدولي ومتغيرات ساحة التنافس الاستراتيجي الإقليمية جدَّدت طرح الموضوع بأدوار تنافسية استراتيجية دولية وأخرى إقليمية، هذا من ناحية الأهمية العلمية. أما من ناحية الأهمية التطبيقية، فلا يخفى مدى حاجة الفاعلين من سياسيين وأكاديميين وباحثين في المؤسسات الحكومية ومراكز الأبحاث وجامعات ومؤسسات بحثية استراتيجية إلى إزالة الغموض عن بعض الجوانب التفصيلية الدقيقة في استراتيجية القوى الفاعلة على الصعيد الدولي والإقليمي، بما يفيد في مزيد من الدقة والرسوخ في أدوارهم لدى

(*) كلية الآداب - جامعة السلطان قابوس

[1] m.mhalla@squ.edu.om

dr.abdelwahab@squ.edu.om

المؤسسات التي يعملون فيها.

١-٢- مشكلة البحث

تعتبر منطقة الشرق الأوسط مساحة جغرافية إقليمية واسعة التأثير في التنافس الاستراتيجي بين قوى الغرب والشرق، وتوالد القوى الاستراتيجية الإقليمية ضاعف معامل التأثير لهذه المنطقة على الساحة الدولية، مما يدفع باتجاه تعميق دراسة تأثير استراتيجيات القوى الإقليمية والدولية فيها.

هدف البحث

الإجابة على التساؤلات التالية:

كيف تكوَّن الشرق الأوسط كساحة للتنافس الاستراتيجي؟

ما هو مسار تطور استراتيجيات القوى الدولية في الشرق الأوسط؟

كيف دخلت استراتيجيات القوى الإقليمية ساحة الصراع في المنطقة؟

ما هي مخرجات التنافس الاستراتيجي للقوى الإقليمية والدولية في دول المنطقة؟

منهجية البحث

تعتمد هذه الدراسة على المنهج الوصفي النوعي الذي يعتمد على تحليل مضمون المنشورات الأكاديمية والعلمية والتخصصية من كتب ومقالات ومحتويات إعلامية تخصصية منشورة وتقارير ودراسات صادرة عن مراكز أبحاث دولية ومؤسسات استراتيجية، والاستعانة بالأدوات والوسائل التقنية لاستشفاف مخرجات التنافس الاستراتيجي للقوى الإقليمية والدولية في الساحة الإقليمية لمنطقة الشرق الأوسط.

تكون الشرق الأوسط كساحة للتنافس الاستراتيجي

ظل مسمى «الشرق» يشير في أذهان الغرب إلى البلاد التي ترتبط كما يقول أورين (٢٠٠٨) «بحضارة مشتركة ولباس متشابه وتقارب في العمارة وفي الفنون والمعتقدات الدينية وأنظمة الحكم»، وهي تقع في منطقة أثبتت الوقائع التاريخية أهميتها في حلبة التنافس الاستراتيجي القديم والحديث. إلا أن النظرة إليها سوف تتبدل مع تطور استراتيجيات القوى الدولية المؤثرة، فتماهياً مع ما اكتسبته منطقة الشرق الأوسط من زيادة في الأهمية الاستراتيجية مع مطلع القرن العشرين، حين شكل سقوط الامبراطورية العثمانية دافعاً للتنافس الاستراتيجي بين قوى البر وقوى البحر لاقتسام جغرافيا «الشرق»تماشياً مع حاجات البلقنة الاستعمارية في إطار التنافس بين استراتيجيات القوى الدولية بداية القرن العشرين (من سايكس بيكو ١٩١٦ إلى لوزان ١٩٢٣).

٢-١- تأثر إجراءات تحديد دول الشرق الأوس طبالجيواستراتيجيةالأنكلوسكسونية

خضعت إجراءاتالتحديد في الشرق المقسَّم لتجاذبات مصالح القوى الاستراتيجية الدولية، فنجد الكتابات الغربية بداية القرن العشرين تُروِّج للشرق الأوسط كمفهوم ذائع الصيت في الفكر الاستراتيجي،من أبرز هؤلاء ماهان الذي حددمنطقة الشرق الأوسط «بالخليج العربي وما يحيط به»، وأشار للأهمية الإستراتيجية للشرق الأوسط وضرورة حمايتها من الخطر الروسي

والألمانـــي على المصالح الاســـتراتيجية لقوى البحر، بريطانيا سابقاً ووريثتها الولايات المتحدة الأمريكيـــة (Adelson, ١٩٩٥)، مما يعطي صورة واضحة على تنامي الاهتمام الاستراتيجي بهـــذه المنطقة مطلع القرن العشـــرين. من هنا ارتبط الشـــرق الأوســـط برهانات الـــدول التي أطلقته خاصة بريطانيـــا والولايات المتحدة في إطار تحقيقها لمصالحها، خاصة تلك المرتبطة بالمـــوارد التـــي يتوفر عليها "النفـــط والغاز"، وكذا باعتباره منطقة عبور تجاري وقت الســـلم ومعدات عسكرية وقت الحرب.

حدد مجلد الشرق الأوسط الذي يصدر سنويا في لندن جغرافية الشرق الأوسط بأنها تضم كل من تركيا وإيران وقبرص والهلال الخصيب وشـــبه الجزيرة العربية ومصر والسودان، وأثناء الحرب العالمية الثانية اتســـع ليضـــم منطقة القوقاز، ويرجعالمخادمي (٢٠٠٨) سبب الاختلاف في تحديد ماهية الشـــرق الأوسط إلى "عدم وجود مقياس موضوعي لتحديد نطاق النظام الإقليمي الشرق أوسطي، وكذاكونه مصطلح استراتيجي ذو صلة بمخططات واستراتيجيات الدولالكبرى ورؤيتها لمشاكل الأمن العالمي" (ص٦٠).

لذا نجد إقليم الشـــرق الأوســـط يتسع ويضيق حســـب الأهداف والمصالح، إذارتبط أساســـاً بالمصالح الجيوستراتيجيةالأنكلوسكسونية(البري طانية–الأمريكيـــة)، والتي بدلت النظرة الغربية للشـــرق الأوســـط فبات ينظرإليـــه كخليط من الشعوب والجماعات والقوميات المختلفة تحوز على تنوع لغوي وديني وســـلالي، فحتى الدين الإسلامي الذي هو أكثر الديانات انتشاراً تجده مقســـم إلى مذاهب، فيما عدا الديانات الأخرى الموجودة فيهكالمســـيحية واليهوديةوالزارادیشتية وغيرها (أورين، ٢٠٠٨).

يضم الشـــرق الأوســـط حســـب دائرة المعارف الأمريكيةكل منقبرص ومصر وإيران والعراق وإســـرائيل والأردن والكويت ولبنان وســـلطنة عمـــان وقطـــر والمملكـــة العربيـــة الســـعودية والسودان وســـوريا وتركيا والإمارات العربية المتحـــدة واليمـــن، وتـــم تطوير هيمـــا يتناســـب مـــع تطـــورات جيوســـتراتيجية جديـــدة ترتبط أساســـاً بـــالنزعـــة الأحاديـــة "الماهانيةالكونيـــة الجديـــدة" (ديســـوا، ٢٠١٤، ص١٦٧)،التـــي أفرزت مخرجاتها في عهـــد الرئيس الأمريكي جورجدبليو بـــوش (٢٠٠١-٢٠٠٩)، وعبَّرت عنها مراكـــز التخطيط الاســـتراتيجي والدوائر الرســـمية الأمريكية بمفهومي "الشرق الأوسط الكبيـــر The Greater Middle East" و"الشرق الأوســـط الجديد "، أنظر الشكل رقم /١/.

الشكل رقم /١/

إن فهـــم وإدراك ماهيـــة مفهوم الشـــرق الأوســـط الذي يضم دول جنوب وشرق المتوســـط بمـــا فيهـــا إســـرائيل، ودول الخليـــج العربي إضافة إلى إيران وتركيا

وأفغانستان، ليس بعيداً عن تثبيت جغرافيا الشرق الأوسط محل الجغرافيا العربية أو الإسلامية وتسهيل تحقيق استراتيجية إسرائيل التوسعية كقوة إقليمية مرتبطة باستراتيجية القوة الدولية المهيمنة (أمريكا).

٢-٢- تحطم المشروع الاستراتيجي العربي على وقع المواجهةالاستراتيجية الدولية في الشرق الأوسط

تاريخياً شهدت المنطقة العربية وحدة إقليمية بأشكال متنوعة، فرضتها مراكز جيوسياسية متعاقبة (دمشق، بغداد، إستانبول) في إطار إمبراطوريات كبرى:

أ. الأمويون ٦٦٠ – ٧٥٠م

ب. العباسيون ٧٥٠ – ٩٤٥م

ج. العثمانيون ١٥٢٠ – ١٩١٨م

في العصر العباسي شكلت بغداد مركزاًجيوسياسياً،وحسب ترتيب المسعودي (١٩٩٠) انتظم العالم على شكل أقاليمسبعة يقع في موضع الزاوية المركزية منها دائرة تحيط بالمركز، والدوائر الستة الأخرى مرتَّبة على شكل قطاعات منفتحةعلى العوالم الخارجية وراء المحيطات والصحاري.من جهة ثانية فإن العقلانية الاقتصادية القائمة على الاقتصاد المغلق السائد في حينه، خاصة ما يتعلق بالريعواستعمال الأرض،أدت إلى إجراء تقسيمات واقعية للإمبراطورية العباسية إلى عشرين مقاطعة.

حُملَت هذه الترتيبات الجيوسياسية عبر الأجيال في الوجدان العربي وصولاً إلى التطبيقات الجيوسياسية الإسلامية العثمانية، ما سيخلف أثراً سلبياً في هذا الوجدان إزاء التفتيتالاستعماريبعد انهيار الإمبراطورية العثمانية، يضاف إليه ولادةأفكار القومية العربية مقابل القومية التركية التي استحوذت على المركز الجيوسياسيالإسلامي الأخير في إستانبول. في هذا الإطار يرى ديسوا (٢٠١٤، صص.٢٤٣-٢٤٤) أن التطبيقات الجيوسياسية (البعثية والناصرية) سارت باتجاه يعاكس المأمول لتحقيق وحدة الإقليم، وأن النخب الحاكمة سلكت سبلاً عائلية ومارست سياسات خارجية متعصبة أجهضت النجاحات الجزئية، سواء تعلق الأمر بوصول البعث إلى السلطة في بغداد ودمشق عام ١٩٦٣، أو نجاح الناصرية في توحيد مصر وسوريا عام ١٩٥٨، ويوضح أيضاً أن رؤية السياسات القومية العربية للعالم تمحورت حول هدف الوحدة الجيوسياسية العربية، غير أنها أخفقت نتيجة تركيزها كامل طاقتها على عامل واحد تمثل في "الصراع العربي الإسرائيلي"، ومع أن هذا العامل له أهميته في ظل التنافس العنيف مع التصورات الأخرى للشرق الأوسط، إلا أنه يتجاهل تشظي الفضاء العربي إلى دول وطنية متعددة متجذرة سياسياً وثقافياً، بينما الأمة العربية يتيمة من دون جهاز دولة مستقر يقوم على خدمتها.

نخلص إلى أن وجود الجزء الشرقي منالشرق الأوسط ضمن منطقة الريملاند، التي يعتبرها أبو الجيوبولتيك الأمريكي نيكولاس سبيكمانالمنطقة الجغرافية المحورية للسيطرة على أوراسيالما تتميز به من خصائص، تجعل استراتيجيات القوى الدولية نشطة اتجاهها، وهذا الأمر مستمر ويتطور مع المتغيرات

الراهنة والمستقبلية.

مقدمات تطور استراتيجيات القوى الدولية في الشرق الأوسط

تاريخياً يعتبر الشرق الأوسط فضاءاً حيوياً لتنافس استراتيجيات القوى الدولية، وما أعطاه قيمتهالاستراتيجيةموقعه المتفرد في جغرافية العالم كشريط من السهول المتصلة،تعبرشبه الجزيرة العربية وتفصل بين الحلقة الداخلية والخارجية لقلب العالم كما وصفهما ماكندر، الشكل رقم /٢/. على حدوده الشمالية وفي وسطه وجنوبه تقع البحار الدافئة التي كما يقول ديسوا(٢٠١٤)»على البحار الذي يسعى للتصدي لمنافسه أن يضمن لنفسه وجود شواطئ يرسو عليها في أطراف الريملاند» (ص١١٣). الإشارة إلى البحَّار هنا كناية عن أهمية تجارية وعسكرية للملاحةفي هذه البحار(المتوسط والأحمر وقزوين والعرب والخليج العربي) حيثتوجد أهم ممرات الملاحة الدولية (قناة السويس،باب المندب، البوسفور والدردنيل، هرمز، جبل طارق)،عززت قيمتهااحتياطات الطاقة الاستراتيجية من النفط والغاز.

الشكل رقم /٢/٢

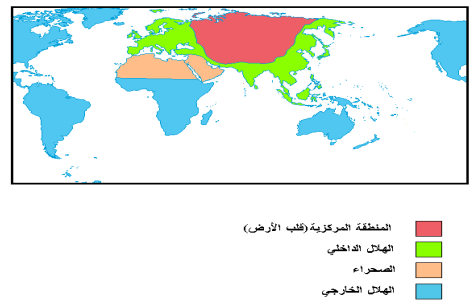

٣-١- تطورات التنافس الاستراتيجي على الشرق الأوسط

إن أهمية الموقع القاري للشرق الأوسط قبل اكتشاف النفط،جعلته ساحة تنازع استراتيجي دولي دل عليه تعارض مصالح القوى الدولية ذات التأثير الاستراتيجي العالمي (بريطانيا، فرنسا، روسيا، ألمانيا، الإمبراطورية النمساوية المجرية)، خلال مراحل تنظيم وتقاسم تركة انهيار الإمبراطورية العثمانية.فما أسفرت عنه «المسألة الشرقية» من تقاسم جيوسياسي للمناطق والأقاليم والمصالح في مؤتمرات عدة بعد الحرب العالمية الأولى كان آخرها مؤتمر لوزان ١٩٢٣ (وفيق، ١٧ أغسطس ٢٠٢٠)، شكَّل خلاصة التنافس الاستراتيجي بين عقدة مصالح متشابكة ومتعارضة في آن معاً، في مشهد يقارب (بعد مرور قرنٍ من الزمن) التنافس الاستراتيجي الحاد القائم حالياً بين استراتيجيات القوى الدولية الصين وروسيا - وأمريكا وأوروبا العجوز.

٣-١-١- المقومات التي قامت عليها استراتيجيات القوى الدولية التقليدية

بالنسبة لبريطانيا سيدة القوة البحرية فإن الأساس الذي استندت إليه في طريق هيمنتها البحرية، أرجعهماهان (كما ورد في ديسوا، ٢٠١٤) إلى استفادةإنجلترامن مركزية موقعها بالنسبة للمحيط الأطلسي والبحار الأخرى التي تشاطئ أوروبا، على نحو يسمح لأسطولها القيام بعمليات ضد أية قاعدة معادية من دون الابتعاد كثيراً عن قواعده، ويقطع الطريق أمام أي اتصال بين الأساطيل المعادية.شكَّل هذا

مفتاح نجاح القوة البحريــة البريطانية وقدرتها على تدمير السفن المعادية، وتعززت سيطرتها بعد ضمها لجبل طارق عبر رصدها الأساطيل التي تعبر البحر المتوسط والأطلسي.

ما أتاح دور الهيمنة الاســتراتيجية البريطانية، فحيــث عقدت بريطانيــا تحالفاتها يكون النصر حليفها، كما ســنرى. في حين تاهت استراتيجية القوى القارية (فرنسا، ألمانيا، روسيا، والنمسا) فــي الصراعات الجيوسياســية، خاصة فرنســا كقوة جيوسياسية تعتبر في علاقتها مع بريطانيا من أوائل الحالات التي يمكن وصفها بالصديق العــدو، وتعتبــر حملــة نابليــون علــى مصــر عــام ١٧٨٩ مثــالاً مناســباً لتوضيــح مخاطر اســتراتيجية فرنســا كمنافــس دولــي للمصالح البريطانية (زوبيــري، ٢٠١٥)، خصوصاً مع ما امتلكته فرنســا من مقومات للقوة الناعمة في مبادئ الثورة الفرنسية التي شعَّت على العالم.

أما روسيا وألمانيا فهما قوتين دوليتين، دائماً ما كانت لهما مشاريع جيوسياسية عالمية الطموح والتأثيــر، وقد عبّر عن الخشــية البريطانية من هاتيــن القوتين ماكنــدر (كما ورد في ديســوا، ٢٠١٤) فــي تمثيلــه للخطر الــذي يهدد الجزر البريطانية من قيام إمبراطورية أوروبية بمركز جرماني-روسي إذا ما توصل طرفيه إلى تفاهم مثلما أوصى أوتو فون بســمارك رئيس وزراء بروســيا[٣] بين عامــي (١٨٦٢-١٨٩٠)، وعمل هاوشــوفر علــى ترجمة وصيته إلى دراســات وبحوث طــورت الجيوبولتيــك الألماني متأثراً بفريدريكراتزل ويوهانكيجلينو هالفوردماكندر، وأثــرت فــي تدعيــم اســتراتيجيات أدولــف هتلــر الجيوسياســية. فــي الســياق ذاتــه عــزا ديســوا (٢٠١٤) دوافعهاوشــوفر لرســم خرائطهالجيوسياســية البعيــدة عــن الخرائــط الكلاسيكية الوصفية، والمعتمدة على المطالبات الوطنية المرتبطة بالحاجة للأمن (الشــكل رقم /٣/)، إلى ثلاثة أسباب أهمها الصراع الدائم مع القوة البحرية التي ترى أن ألمانيا بفضل أشكال النقــل الجديدة قــادرة على التفــوق عليها، فهي تؤمن ربــط البر والبحر والانتقــال من العصر الكولومبــي إلــى العصر الأرضــي (أو ما بعد الكولومبي).

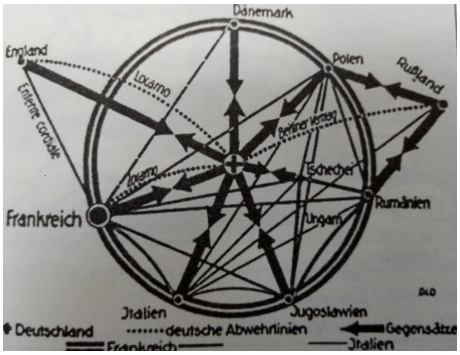

الشكل رقم/٣/

كما تمتلك روســيا مقومات جيوسياســية تتفوق فيها فــي أحيان كثيرة على أســس الجيوبولتيك الألماني، فهي تقع مــكان قلب العالم في نظرية ماكندر وحدوده من الســعة بحيث تساير حدود أحواض الأنهار الجارية نحو البحار الداخلية أو نحو المحيط المتجمــد، وبالتالي هي مغلقة أمام الملاحــة البحرية، والمحيط وحده من يدخل في حسبانها (ديسوا، ٢٠١٤).

أمــا الإمبراطورية النمســاوية-المجرية، فعلى الرغــم مما أتاحــه لهــا انتمائها إلــى الحاضنة الأوروبيــة من لعــب أدوار كبرى في المســألة الشرقية، إلا أنها لاقت مصير التفكك ذاته الذي

ذاقته الإمبراطوريــة العثمانية، مع اختلاف في المستوى الاقتصادي لمخرجات الدول المنفصلة بسبب البيئة الاقتصادية الرأسمالية المتطورة.

٣-١-٢- نتائج المنافسة والدور الاستراتيجي للنفط

على الرغم من أن المســألة الشرقية عبَّرت عن ميكانزمات وقواعد التنافس بين اســتراتيجيات القوى الدوليــة الفاعلة آنذاك حــول جيوبولتيك الإمبراطورية العثمانية، إلا أن المقصود بها كما يصف سعيد[٤] (١٩٨٤) كان الشرق كما وصفناه سابقاً اجتماعاً وثقافة واقتصاداً. من وجهة ثانية أعطى محفــوض[٥] (٢٠١٨) لاســتجابة الدولة العثمانيــة دوراً مؤثــراً فــي مخرجات تقاســم المصالح في قوله «أن المجال المشرقي لم يكن مجرد موضوع أو متلقٍ لسياســات الغرب، إنما كان شــريكاً نشــطاً أحياناً في تلك السياســات، وقد لعبت الســلطنة على تناقضات ومنافســات ومخــاوف الأوروبيين تجاهها أو مخاوفهم تجاه بعضهم البعــض» (ص٦)، فالمخاوف الغربية من طموحات روســيا القيصرية الجيوسياســية أعطــت الســلطة العثمانية إمكانيــة اللعب على التناقضات والمنافسات والمخاوف لإطالة عمر النــزاع الدولي على مدى قرنين (الثامن عشــر والتاســع عشــر). إلا أن مؤثرات اســتراتيجية جديــدة بــدأت بالتشــكل قبــل وخــلال الحرب العالميــة الأولى، مــع الاكتشــافات النفطية في ثلاث مناطق مهمة في قلب الشرق الأوسط وفي مجاله الحيوي (جنوب إيران، باكو، الموصل)، ســاهمت في إعادة ترتيب الحدود التي رسمتها اتفاقيــات عــدة من ســايكس بيكــو ١٩١٦ إلى لوزان ١٩٢٣.

٣-١-٢-١- تأثيــر النفط في ســاحة التنافس الاستراتيجي الشرق أوسطي

إن تأثيــر النفــط كعامــل اســتراتيجي إضافــي فــي الشــرق الأوســطعبرت عنه جملــة «أريد الموصل» التي أوضحها بــار (٢٠١٥) خلال مراجعته مفاوضات شــروط الهدنة الحادة التي أعدَّت فــي باريس مســاء٦ أكتوبر ١٩١٨ بين البريطانيين والفرنسيين، باعتبار بريطانيا وفق منظــور الحكومة البريطانية هــي التي هزمت العثمانييــن وينبغــي أن يكون لها حصة الأســد مــن المغانــم. أورد بار رغبة رئيــس الوزراء البريطاني لويد جورج خلال الاجتماع التراجع عــن اتفــاق ســايكس-بيكو، عبر أخذ فلســطين وضــم الموصــل إلــى المنطقــة البريطانيــة، وإبقاءالفرنسيين خارج سوريا.

يمكــن اعتبــار أن أهــم نقطــة في هــذا التحول تركزت في الاستحواذ على الموصل.يعود ذلك إلى حاجــة بريطانيا للنفط، فالبحرية البريطانية عــام ١٩١١ أي قبــل ثــلاث ســنوات مــن بدء الحرب العالمية الأولىتحولت من استخدام الفحم الحجــري إلــى النفــط (DeNovo، ١٩٥٥)، وانقطــاع النفط عنها له أبلغ الأثــر في هيمنتها البحرية، خصوصاً وأنهــا حتى ذلك التاريخ لم تكن تعتــرف بعد بتراجع دورهــا كقوة مهيمنة عالمياً.

علــى الرغم مما كان رائجــاً في حينه من رؤية أن بريطانيــا العظمــى بــدت غير قــادرة على تحمــل حــدة التنافس البحري، وأنها توشــك أن تخلي هــذا الدور للولايات المتحــدة الأمريكية. كان ماكنــدر مــن أوائل الذين عبــروا عن ذلك من خلال توضيحه للسياســيين والدبلوماســيين الأنجلوسكســونييناإخلاء بريطانيــا لدولة قائمة أم دولة في طور التشــكل، أمــا ماهان فقد عبر

صراحة عن أن الدور التاريخي للمملكة المتحدة قد وصل إلى نهايته منتقلاً إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وقد أرجعه إلى التشابه في الطبيعة الجغرافية والموقع مع ميزة مضاعفة لأمريكا بسبب حجمها إضافة إلى القرابة الأنجلوسكسونية العابرة للقوميات (ديسوا، ٢٠١٤).

في المقلب الآخر انتاب ألمانيا خلال الحرب الأولى الشكوك حول تقدم خصومها (الروس والبريطانيين) وحلفائها الأتراك نحو باكو، وكان محفِّز هذه الشكوك الأساسي حاجتها إلى النفط أيضاً، وخلال الحرب العالمية الثانية سوف تتحول هذه الشكوك إلى هواجس تدفع ألمانيا النازية لغزو أراضي الاتحاد السوفييتي في خرق تام لاتفاقيات المعقودة معه[٦].فقد أظهر الجيوبولتيك الألماني حاجة الاستراتيجية التوسعية الألمانية للطاقة، فالدبابات الألمانية كسلاح توسع جيوسياسي بحاجة للنفط وكميات النفط المسلمة من السوفييت التي زادت على ٩٠٠ ألف طن لم تفي بالحاجة (globalvillagespace، ٢٢ يونيه ٢٠٢١).

٣-١-٢-٢-الخليج العربي في صلب تنافس الأحلاف الاستراتيجية

دوناً عن غيرها من المناطق في الشرق الأوسط، عزز النفط الأهمية الاستراتيجية لمنطقة الخليج العربي في قلب الشرق الأوسط، التي دخلت في ساحة المنافسة الاستراتيجية، إذ يلاحظ أنه في فترة الدور الخامل لحلف الناتو في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا كما يسميها ذيابات (٢٠١٦) خلال الحرب الباردة (١٩٤٩-١٩٩٠) بين المعسكر الشرقي بزعامة الاتحاد السوفييتي السابقة والمعسكر الغربي بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية،ويدلل على ذلك برأي لـ Guab (كما ورد في ذيابات، ٢٠١٦) عن غياب دور الناتو في كل من أزمة السويس عام ١٩٥٦ والحروب العربية الإسرائيلية في عامي ١٩٦٧ و١٩٧٣.

إلا أنه أعيد توجيه هذه الحروب للتحول بعناية قطبي المنافسة الاستراتيجية الأمريكي والسوفييتيإلى عمليات موضعية دقيقة في اتفاق مصالح استراتيجية مستورة، لإخلاء قوى التنافس الاستراتيجي الدولي التقليدية (فرنسا، بريطانيا)، ولتكون بمثابة عمليات تطهير في الجغرافيا السياسية المحيطة بمناطق استكشاف واستخراج النفط الاستراتيجية في الخليج.

هذا لا يلغي بقاء مفاعيل الحرب الباردة، ففي الربع الأول من عام ١٩٨٤خلال حرب الخليج الأولى قام حلف الناتو بتدريبات أطلق عليها ‹‹Helix ٨٤›› وتعني اللولب، للتعامل مع أي توغل عسكري سوفييتي افتراضي في إيران، مترافق مع حشد لقوات حلف وارسو على الحدود اليوغوسلافية. فكانت آلية رد الناتو تقوم على إرسال قوة الانتشار السريع الأمريكية إلى المنطقة جنبًا إلى جنب مع دعم قوات ومعدات أوروبية (Fouquet، ١٩٨٤).

أتت هذه التدريبات خارج سياق القيد المرسوم في اتفاقية إنشاء الحلف باقتصار التدريبات العسكرية للناتو بشكل عام داخل أراضيه، إلا أنها دللت على الاهتمام الكبير بعدم السماح للمعسكر السوفييتي المعادي حتى ولو كان التهديد افتراضياً بالتمدد في منطقة الخليج، لما لها من أهمية استراتيجية لها بعد اقتصادي جيواستراتيجي بسبب النفط.وسرعان ما تكشفت أولوية الخليج (قبل يوغسلافيا السابقة) بشكل

أوسع في فاتحة عمل الحلف خارج أراضي دوله، من الجهة الشرقية لخط زاوية البلطيق-العراق الحيوي المعتبر من أهم ضمانات أمن أوروبا. كما شكلت حرب الخليج الثانية (١٩٩١) الخطوة العسكرية العملية الأولى لحلف الناتو خارج أراضيه، والضربة القاضية التي أدت إلى انهيار الاتحاد السوفييتي وزوال الخطر الشيوعي وانتهاء الحرب الباردة.

بناء الأدوار لقوى دولية وإقليمية جديدة في ساحة التنافس الاستراتيجي ومخرجاته

لم ينهي انهيار جدار برلين ١٩٨٩ وتداعي قلب العالم السوفييتي١٩٩١ التخوف الأمريكي المزدوج من المركزين الجيوسياسيين الروسي والألماني، فهما يمثلان أخطر تهديد للاستراتيجية الأمريكية في أوروبا والشرق الأوسط، في الوقت الذي جرى فيه إنهاء احتمالية تغريد الفرنسيين والبريطانيين خارج سياق الاستراتيجية الأمريكية. إلا أن التنافس بين استراتيجيات القوى الدولية أفرز قوى إقليمية بنت لنفسها استراتيجياتها الخاصة، وأخذت حيّز في ساحات التنافس الإقليمي له تأثير دولي.

٤-١- روسيا والصين خصمين جدّيين في ساحة التنافس الاستراتيجي ضد أمريكا

عزز الانتصار بالحرب الباردة التفاؤل الأمريكي، فمنحوا أنفسهم تفويضاً بتغيير العالم نحو نظام عالمي جديد،وفق برنامج لدمج القواعد الأساسية للديمقراطية الأمريكية مع اقتصاد السوق. إلا أن المحافظة على الهيمنة الاستراتيجية الأمريكية، وفق رأي الاتجاه الوسطي في الاستراتيجية الأمريكية[٧] وممثلهم بريجنسكي (١٩٩٩) تطلبتمعرفة الدول الجيواستراتيجية[٨] القادرة على إحداث تغيير جذري في توزيع السلطة الدولي، ومن ثم إعادة التوازن من خلال بناء سياسات نوعية تمحو الآثار التي أحدثتها سياسات تلك الدول، باستخدام أدوات الدول الحاجزة (أوكرانيا، أفغانستان) والمناطق المبلقنة (يوغسلافيا، آسيا الوسطى، شرق المتوسط) والمواقع الاستراتيجية كالخليج العربيوحوض المتوسط.

كما قامت الاستراتيجية الأمريكية على تعزيز وتحصين الجزيرة الأمريكية، من خلال تطبيقات الماهانية الكونية الجديدة التي تسمح لها بالتدخل بشكل بديل أو متزامن في أوروبا والشرق الأوسط وآسيا الوسطى والشرقية، معتمدة على تركيبة (فضائية-جوية-بحرية) تدار من قبل الإنسان والآلة، لها قدرة هجومية قادرة على ضرب قوى التهديد الخارجي بطريقة الضربة الاستباقية، بهدف إطالة الأحادية القطبية عبر الحفاظ على توازن أوراسي واحتواء المنافسين المحتملين من جهة، ومن جهة ثانية الوقاية من التهديدات الإرهابية عبر إبعاد أضرار دول تستخدم كقواعد انسحاب ودعم لوجستي ومادي لشبكات الإرهاب (ديسوا، ٢٠١٤).

قرأت القوى الدولية رسائل استراتيجية الحرب الاستباقية جيداً، غير أن قدرة تعطيلها بالدبلوماسية الاعتراضية على الحرب الأمريكية على العراق ٢٠٠٣ من قبل برلين وباريس وموسكو، انهارت أمام ما أبدته استخدامات الأسلحة التكنولوجية التي قامت على تصغير القذائف وتنويعها ودقة التوجيه والاتصال وعسكرة الفضاء الكوني لصناعة مرحلة الهيمنة العسكرية للولايات المتحدة.في ذلك الحين، كانت الصين وروسيا لا تزالان تجريان عملية

التأســيس لمواجهة مســتقبلية أكيدة، طالما أن استراتيجية تعزيز التعددية الجيوسياسية والحفاظ عليها للهيمنة على الخريطة الأوراســية قائمة، وتتمدد على تخومهما الجيوسياســيةعلى نحو يهدد جغرافيتهما السياسية ذاتها بالتقسيم.

مثل التحــدي الاقتصادي حالة وهن مســتقرة تعيق استراتيجية كل من روسيا والصين، فكيف لهما وبعيداً عن الاعتماد على القدم التاريخي، باقتصاد يعتمــد على تصدير المــواد الأولية بشكل أساسي كمثل البلدان النامية في روسيا، ورســوخ ثالوث التخلف (الفقر والبؤس والجوع) في الصين،وأراضيهما المهددة بالتشــظي، أن يكون لهما دور في التشكيل العالمي الجديد؟

٤-١-١- روســيا بين اســتراتيجية أوراسيا الجيوسياسية والاندماج في العالمية

تمثــل التحــدي الجيوسياســي فــي كون حدود أوروبا تقف عند جبال الأورال (الشــكل رقم/٤/)، وتعززبالتنافس مــع الهيمنة البحرية الأنجلوسكســونية، ما دعا المؤمنين بالسلافية لتوليد فكرة روســيا الأوراســية إقليــم يقع بين عالمين (أســيا وأوروبا)ويســعى إلــى الوجود الذاتي. هي ميزة جغرافيــة تمتلكها دولتين في جغرافيا العالم هما روســيا وتركيــا مع مراعاة للتباين في المساحة الجغرافية لصالح روسيا.

الشكل رقم/٤/

حالة الاســتقطاب هذه ليســت جديــدة، وإنما تســتمد زخمها من التاريــخ منذ بطرس الأكبر وزوجته كاترين مروراً بغورباتشوف وصولاً إلى بوتين.ولّدت داخل روسيا تيارين: الأول يسعى إلى دمج روســيا في العالميــة، والثاني ينادي بالخصوصية الروسية"التيار الأوراسي" (ديسوا، ٢٠١٤).

هي الحتميــة الجغرافية، كأفكار جيوسياســية متأثــرة بنظرية قلــب العالم لماكنــدر، وعائق التنــوع الثقافي في أوراســيا كمــا يبيّن دوغين يمكــن تجاوزه مــن خــلال القوميــة العابرة لأوراسية[٩]، ويســوق تجربة الاتحاد السوفييتي الاجتماعية إثباتاً لها، إلا أن الأوراسية الجديدة أكثر تطوراً من خــلال إمكانية دمج حضارات مختلفة على نموذج حضارة أوراســية تاريخية هــي الإمبراطورية المنغولية، فــي هذه الحالة يمكن أن يتخلى الروس عــن دورهم التاريخي إلى جماعة عرقية أخرى في أوراســيا، فروسيا لا تســتطيع أن تبقى بدون إمبراطورية، وزوبان

روســيا في الإمبراطورية الأوراسية مع ما يعنيه من إخلاء الدور القيادي لشــعب أوراسي آخر حتى لو أوكرانيا يشــكل محافظة على روســيا ذاتها (Shlapentokh, ٢٠٠٧).

يبدو أن الجغرافيا الروسية الواسعة أدت دورًا هاماً في تشكيل تصوّرات القوة العظمى لدى صنّاع القرار الروس، يظهر ذلك جليًّا في تصريح ألقاه الرئيس الروسي فلاديمير بوتين بعد عامين من تولّيه الحكم قائلاً "نحن قوةٌ عالمية، ليس بسبب أنّنا نمتلك قوةً عســكريةً عُظمى وقوةً اقتصاديةً مُحتملــة ولكن نحن كذلك لأســبابٍ جغرافية" (هاشــم، ٢٠٢١، ص٣٤).يوضــح ديســوا (٢٠١٤) أن الاهتمام الاســتراتيجي لروســيا يتمثل في تجنب التحول إلى تابع للاستراتيجية الأمريكية، عبر تشــكيل مراكزجديدة للقوة، هي نتاج مراكز متعددة للقوة لها سياساتها المستقلة كفضاءات كبرى موحدةبشــبكة تحالفات دولية. كما يشرح ديسوا تصور دوغين في التخلص من الريبة التاريخية من الصين، عبر إنشاء ترتيبات "جيوبوليتيكــة ذكية" من قبيل توجيه طموحاتها نحــو الجنوب بدلاً من الشــمال الذي يواجهها مع روسيا، والأدوار الجيوسياسية لكل من الهند وتركيا وإيران في التحالفات الأوراسية.

يتضح أن روســيا في أحسن الأحوال لا تسعى للهيمنــة العالمية، فهي تقر بموانع مســتحيلة أمام الســيطرة مجدداً على الريملاند، بل هدفها كبح جماح الهيمنة الجيواستراتيجية الأمريكية، وإعــادة الحالة الدولية إلى التعددية القطبية، ما يفسر تمسك روسيا الجديدة بالنظام الذي أفرزته الحرب العالميــة الثانية، والــذي يرتكز على مبدأ السيادة وعدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول، لحين اســتقرار العالم على توازن متعدد الأقطاب يفرز نظاماً متوازناً.

٤-١-٢- طريــق الصين لتكون قــوة عالمية منافسة

أقلق نشــر القوات الأمريكية فــي قلب العالم (أفغانســتان وما حولها) بعد أحداث ١١أيلول/ ســبتمبر ٢٠٠١ الصينيين، بعــد أن كانوا قد اطمأنوا لحالة الاســتقرار الجيواســتراتيجي في آسيا منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، وأدركت الصين هدف الولايات المتحدة في الهيمنة على أوراسيا الواقعة في ظهرها من خلال فعل مزدوج دبلوماسي–عسكري يمتد من روسيا حتى الهند، وحماية لمصالحها تعايشــت مــع فكرة الوجود العسكري الأمريكي بعيد المدى في المنطقة.

منذ تأسيســها أدركت الصين الشعبية انتمائها إلى الــدول النامية، وأن خيارها الاســتراتيجي الجيوسياســي محكوم عليه بالفشل طالما بقيت غارقة في مشــاكلها الاقتصاديــة والاجتماعية الداخلية، لذا يمكن القول أن تقديم اســتراتيجية التنمية وارى وراءه الحلم التاريخي الجيوسياسي الصينــي، فبدونها لا يمكــن أن يتحقق لها أي دور عالمي.إنهــا اســتراتيجية ضروريــة من أجل الوصــول إلى مرحلة إطلاق مشــروعها الجيوسياســي الجديــد لإحياء طريــق الحرير التاريخــي، الذي يتضمن ممــرات تجارية برية وبحريــة متصلة، تشــكل ربطاً جيوسياســياً

استراتيجياً للصين مع دول آسيا وأوروبا وإفريقيا.

عملت الصيـــن بجد حقيقي للقضاء على الفقر والبـــؤس والجوع وصـــولاً إلى مجتمـــع الرفاه الاقتصادي، الذي يمكن من خلاله بناء مجتمع الإنتاج المادي والمعرفي القوي والمنافس على الصعيد الاســـتراتيجي، ويضـــع الصين على طريق رسم حلمها الجيوسياسي الاستراتيجي.

هذا ما حققته الصين خلال ربع القرن الماضي لتصبح دولة تملك المقومات والمؤهلات، لتكون قوةعالمية مؤثـــرة. حققت الصين معدلات نمو عالية بلغـــت نحو١٣٪ عام ٢٠٠٨ وبلغ حجم الناتج المحلي الإجمالـــي للصين ١٧ تريليون دولار عام ٢٠٢١، وهـــي تحتل المرتبة الثانية عالمياً بعد الولايات المتحدة الأمريكية التي بلغ ناتجهـــا المحلي الإجمالـــي ٢٤ تريليون دولار (المنـــذري، ٢٠٢٢). هذه المؤشـــرات جعلت بعض التحليـــلات والآراء تذهب إلى أن القرن الحالي سيصبح قرنا صينياً.

أدى بلـــوغ الاقتصاد الصينـــي مصاف الدول الكبرى إلـــى مواكبة القوة العســـكرية الصينية للتطور الاقتصادي الضخم، فأنفقت الصين في عام ٢٠١٩ على الجيـــش ٢٤٥ مليار دولار، وأتت في المرتبة الثانيـــة بعد الولايات المتحدة التي أنفقـــت ٧٦٧ مليون دولار (Buchholz، ٩ Jun٢٠٢١).كمـــا تعمـــل الصيـــن لتعزيز حضورها العســـكري في بحر الصين الجنوبي عبر إنشائها جزر صناعية لتصبح مياهه تحت سيادتها وتحكم سيطرتها عليها، وعقد اتفاقيات مع حكومات صغيرة في المحيط الهادي كجزر ســـليمان التي وقعت اتفاق أمنـــي مع الصين (فرانس٢٤، ١٩ أبريل ٢٠٢٢).

تهـــدف الصيـــن إلـــى إعادة رســـم المشـــهد الجيوسياســـي العالمي، من خلال مشـــروعها الاســـتراتيجي "مبادرة الحـــزام والطريق" الذي يعبر الشرق الأوسط.إنها مبادرة يعتبره الباحثون والفاعلون السياسيون الصينيون عظيمة خططها الرئيس الصيني شي جين بينغ، ما يعكس فكره الاستراتيجي لاســـتعادة مكانة الصين العظيمة المستحقة. في حين يرى المحللون الغربيون أنها تشـــكل استراتيجية استباقية كبرى، صممت من أجل الوصـــول إلى عالم متعدد الأقطاب، فهي سياســـة صينية مدروسة جيداً لاستعادة الهيمنة الجيوسياســـية الصينية في قارة آسيا ومواجهة الهيمنة الجيوستراتيجية الأمريكية على أوراسيا، وخلق مركزيـــة صينية تحقق طموحات الصين الأوراسية الجديدة.

دخـــول اســـتراتيجيات القـــوى الإقليمية ســـاحة الصراع في المنطقـــة دائماً ما كان التنافس بين اســـتراتيجيات القوى الدولية يفرز قوى إقليمية متنافســـة، تحـــاول أن تبنـــي لها اســـتراتيجياتها الخاصـــة لتأخذ حيـــزاً ما في ســـاحات التنافس الإقليمـــي وذو تأثير في ســـاحة التنافس الدولي. فـــي المنطـــق العام هـــذا أمر طبيعـــي، غير أن تأثير الاستقطاب الدولي أبطل مفعول النضوح الداخلي لأغلب دول الشرق الأوسط. والحروب عديدة التي مرت عليها، مـــن الحروب العربية مـــع إســـرائيل إلـــى حـــروب الخليـــج المتتالية

والحروب الأهلية والتوترات والأزمات الإقليمية البينية، لم تحقق ما هو مفيد لها بل أعدمت فرص الفاعلية الداخلية والإقليمية للعديد من دول المنطقة المؤهلة للعب أدوار في التنافس الإقليمي.

لم يبطل ما سبق توالد فراغات المنازعة الإقليمية، لكن دول بعينها فقط بقي لها إمكانية بناء استراتيجية إقليمية ذات تأثير دولي،في حالة من استحضار الماضي بصراعاته التاريخية العقائدية والإثنية وموائمتها مع ديناميات الحاضر.

٤-٢-١- الشرق الأوسط الإسرائيلي

أولى الاستراتيجيات الإقليمية في الحضور كنتلإسرائيل التي تأسست على أنقاض نكبة العرب في ١٩٤٨،وقد تميزت عن دول المنطقة في فاعلية دينامياتها الداخلية. منذ نشأتهابنيت إسرائيل على أساس كونها مشروع استراتيجي يمتد على مساحة الشرق الأوسط، وقد حدَّدداهية السياسة الاستراتيجية شمعون بيريس الأبعاد الاستراتيجية لهذا المشروع في كتابه الشرق الأوسط الجديد (السوق الشرق أوسطية)الصادر عام ١٩٩٣.بنى بيريز رؤيته لمشروع الشرق الأوسط الجديد على نحو يجعل إسرائيل تحتل موقع المركز الجيوسياسي، فبواسطة الأفكار الأكثر تقدماً والتكنولوجيا المتطورة التي تمتلكها والوفرة المالية والأيدي العاملة الرخيصة لدى دول المنطقة، يمكن إقامة تكتل يتجاوز عوامل عدم الاستقرار واللا أمن بين العرب وإسرائيل (مداني، ٢٠١٨).

هو تصور اقتصادي لنظام إقليمي بسوق مشتركة واحدة وهيئات مركزية على النموذج الأوروبي، مبني بصورة طوباويةعلى استقرار سياسي واقتصاد وأمن قومي وديمقراطية وأمن إقليمي واقتصاد إقليمي، ومصوراً لمشكلة فلسطين على أنها فحسب، خطأ في الحسابات التاريخية للشعب الفلسطيني إبان الانفصال عن السلطنة العثمانية والرزوح تحت سلطة الاحتلال البريطاني ومن ثم الاستقلال عنه، منع قيان دولة ديمقراطية تجمع الفلسطينيين واليهود تحت سقفها (بيريس، ١٩٩٤).

يتماهى هذا المشروع عملياً اليوم في التغلغل الاستراتيجي للسياسة الإسرائيلية في فراغات المنافسة الإقليمية المستجدة في الشرق الأوسط، من الخليج العربي إلى آسيا الوسطى وأذربيجان مروراً بشمال العراق حتى جنوب السودان.أحد أهم تعبيرات امتداد الاستراتيجية الإسرائيلية كانت صفقة القرن[١٠]، كعملية مركَّزةلخلق تحالفات عربية مع إسرائيل بغطاء ودعم أمريكي وتعاون أمني مشترك بصبغة اقتصادية بحته(أبو كريم، ٢٠٢٠). ضد الاستراتيجيةالإيرانية كمستفيد ثاني في ملء فراغات المنافسة الاستراتيجية للقوى الدولية.

٤-٢-٢- دور إيراني جيوسياسي متقدم

تهدف استراتيجية إيران على المدى البعيد كما يرى عبد الحي (٣ أبريل ٢٠١٣) أن تكون «قوة إقليمية أساسية في منطقة جنوب غرب آسيا التي تشمل ٢٥ دولة» من مصر إلى باكستان إلى آسيا الوسطىإلى العراق وسوريا

ولبنـان، وتعتمـد في ذلـك على وسـائل القوة بشـكليها الصلبـة[١١] والناعمـة[٢١] للوصول إلى أهدافها الاستراتيجية (بوكابوس، ٢٠١٨).

إيـران دولـة إقليميـة ذات دور جيوسياسـي متقدم، وهي تسـتمد زخمهـا من عمق الماضي الحضاري، عبر عمليـة وصل مكاني بالتاريخ كتراث سياسـي وثقافي متقطع زمانياً متصلمع الثورة الإسـلامية عام ١٩٧٩م. إذ أن الخميني القائـد التاريخـي للثورة الإسـلامية لـم يخفي النزعة الفارسـية رغم تمسـكه بعامل الإسـلام كأحد المرتكزات الأساسـية التـي تعتمد عليها دولة إيران الثورة، وبسـط نفوذ ايران وتصدير الثورة لـدول المنطقة، فقوة اسـتراتيجيته تقوم علـى تقويـض النزعـات القومية فـي الجوار الإقليمي، والشـرق الأوسـط يعتبر مدخل جيد للمسـاهمة الفعالـة فـي الترتيبـات السياسـية والأمنية، والصبغة الإسـلامية تفتح مشروعية الـدور داخـل القيم والمـوروث الديني للمنطقة العربية، خاصة وأن الإقليم مهدد بخطر وجودي في المشروع الإسرائيلي، ما يتيح للاستراتيجية الإيرانية توسيع مجالها الحيوي ليمتد على مدى جغرافية غرب آسيا الواسعة.

٤-٢-٣- تنـازع الاسـتراتيجية التركية بين التغريب وإحياء العثمانية

صيغة شـبهجغرافية سياسـية تجتمع في تركيا وروسـيا، فكلاهما إقليم يقع بين عالمين (أسـيا وأوروبا)ويسـعى إلى الوجود الذاتي، مع تباين في الحجم والموارد لصالح روسيا. صيغة شبه أخرى عقائدية سياسية تجتمع في تركيا وإيران تتمثـل بالبعـد الإسـلامي التاريخـي، فالنزعة القوميـة التركية لا تتصور عظمة تركيا إلا من خلال الدفـاع عن قيم الإسـلام الدينية والثقافية وتشـجيعها، رغم قيم علمانيـة الدولة التي ثبتها مؤسس الدولة التركية مصطفى كمال أتاتورك.

ينظـر الأتـراك إلى دولتهمكما يشـرح ديسـوا (٢٠١٤) كمركز إشـعاع على شرق المتوسط والشـرق الأوسـط ومحيط البحر الأسود،حيث شـكل الإسلام بالنسـبة إليهم بعد لقائهم بالعرب فيمـا وراء النهـر[٣١] نقطـة حاسـمة، فقـد دفع الإسـلام إلى نشوء «ثنائية مركزية»، فتوسعت الجغرافيا الإسلامية وتوسع معها العالم التركي، وتبنى الأتراك ماضي العرب بدخولهم الإسلام. مـن جهة ثانية يوضح ديسـوا العمق الجغرافي للأناضول في آسيا الوسطى(أرض أورخان في منغوليا)،فمن هذا العمق السلالي نشأت الحركة القومية الطورانية الهادفة إلى جمع كل الشعوب التركية من بحر إيجة إلى سـين كيانغ الصينية. ويضيف أن هذه الأدبيات الجيوسياسية تستعمل بشـكل متكرر مـع كل فترة تغيير جيوسياسـي إقليمي (تفكك السـلطنة العثمانية ١٩١٨، تفكك الاتحـاد السـوفييتي ١٩٩١، تفكك يوغسـلافيا ١٩٩١-١٩٩٢).

بدأت تركيا تقوم بلعب دور واسـع في الشـرق الأوسـط مع وصول حزب العدالة والتنمية إلى الحكم عام ٢٠٠٢، وتعدًّا الدور التركيالجوانب الاقتصاديـة والأمنيةإلـى الجوانب السياسـية، حماية للمصالح القومية التركية استناداً للمبادئ الجوهرية التي أرسـاها أتاتـورك (بوكابوس،

٢٠١٨).أخفقت تركيا في أن تكون ذلك العنصر الفاعل ذو العلاقة الوطيدة بدول الشرق الأوسط العربيـة، فهي بعـد النجاحات التـي حققتها في بداية اهتمامها بالاتجاه شـرقاً، نجدها قد أنفقت ما راكمته من رصيد، وباتت على علاقة سلبية مع معظم دول المنطقة.

منـذ مؤتمر واشـنطن الذي وسـع مسـؤوليات والتزامـات حلـف الناتـو تعد تركيـا جزء من تخطيطـه الاسـتراتيجي، مـا سـمح بتحويـل أراضيها وجزء من قواتها إضافة لقواعد بحرية وجويـة مثل قاعـدة أنجرليك الجويـة خاضعة للانفتاح الاستراتيجي لقوات الناتو (بوكابوس، ٢٠١٨).دخول روسـيا الحرب في سوريا عام ٢٠١٥ دفع باتجاه تغيير الاستراتيجية التركية، خصوصاً مع بروز مقدمات الاحتكاك العسكري المباشر مع اسقاط تركيا لطائرة سو٢٤ روسية (بي بي سي، ٢٤ نوفمبر ٢٠١٥)، لتدخل تركيا فـي اتفاقات متتابعة مع كل من روسـيا وإيران لتنظيـم فصل مصالحهم في الحرب السـورية، عبرت عنه مخرجات اتفاق آستانا حول مناطق خفض التوتر التي اقتصرت مؤخراً على منطقة واحدة في إدلب بعد مواجهات ٢٠٢٠.

مخرجات التنافس الاستراتيجي للقوى الإقليمية والدولية

تشكلت فراغات نفاذ الاسـتراتيجيات المتنافسة إلى جبهات التنازع في الشرق الأوسط تدريجياً، وكأن القنابـل المتسـاقطة في حـرب التحالف الدولي الذي شكلته الولايات المتحدة الأمريكية علـى الإرهـاب، المتمثـل بتنظيـم القاعدة في أفغانسـتان المتهم بهجمات ١١ سبتمبر ٢٠٠١، أتـت كآليـة للتمهيد الاسـتراتيجي للمتنافسـين الجدد، فهي حرب شـارك فيهـا جميع الأعداء والأصدقـاء. غيـر أن القيمـة الاسـتراتيجية لأفغانسـتان لا تتعـدى دور الموقـع الجغرافي المتاخـم لثلاثـة أعداء بالنسـبة للاسـتراتيجية المهيمنـة الأمريكيـة، اثنيـن منهمـا مصنفـان كممثليـن جيواسـتراتيجيين هما الصين شـرقاً وروسيا شمالاً وراء دول آسيا الوسطى والثالث محور جيوسياسـي مهم هـو إيران غربـاً. لذا كان طبيعياً أن يهتم ثلاثتهم في إفشـال الأهداف الأمريكية الاسـتراتيجية لهـذه الحرب حتى لو طال الزمن.

أمـا جبهة العـراق ذات الأهمية الاسـتراتيجية الأكبر، ليس اليوم فقط وإنما قبل وبعد اكتشـاف النفط، كأولى عمليات الحرب الاستباقية لإطالة الأحادية القطبية واحتواء المنافسين المحتملين، والتنبـه الأمريكي المبكر مـن مخاطر الطموح الجيوسياسـي الصينـي، فقـد وسـعت سـاحة التنافـس، خصوصاً مع تبدي فشـل أمريكا في إدارة الحكم في العراق بعد سقوط النظام. يبدي مسار مجريات الأحداث خروجها عن الأهداف الاسـتراتيجية الأمريكيـة المخططـة، لصالح نفـاذ محورين جيوسياسـيين مجاوريـن إيران فـي الغـرب وتركيا في الشـمال الشـرقي، مع تباين مستويات تأثيرهما لصالح تأثير وسيطرة سياسـية واقتصاديـة أوسـع لإيـران وتدخـل عسكري متكرر إيراني من الشرق وتركي من الشمال في الإقليم الكردي.

ليأتـي "الربيع العربي" الـذي كان جحيماً فتح الجبهـات باتجاه الشـرق والجنـوب، ولتصبح شـبكة التنـازع الإقليمي أكثر تداخـلاً وتعقيداً، فـإذا كان النفـط عامـل تَثقيل اسـتراتيجي في إطار التنافس بين اسـتراتيجيات القوى الدولية بداية القرن العشـرين، فإن الغاز وخطوط نقله ستشـكل عامل التثقيل الاسـتراتيجي الجديد في منطقة الشرق الأوسط.

في سوريا يمكن اعتبار المنازعات الاستراتيجية بين مشـاريع أنابيب الغاز (خط نابكو القطري-التركي والخط الإيرانـي) أحد أهم عوامل نفاذ اسـتراتيجيات القوى الدوليـة والإقليمية إليها، أمريكا وروسـيا وإيران وتركيا بشـكل أساسي والصيـن عن بعد بـدون حضور مباشـر، أما القـوى العربيـة المتدخلـة فـي البدايـة فلم تقم سـوى بتمهيد الدور لنفاذ استراتيجيات أعدائها الإقليميين. تحولت ساحات سوريا واليمن وليبيا إلـى اسـتثمار في الحـرب، ليتحـول الاقتصاد الليبـي ومجتمعات هذه الدول والدول المجاورة إلـى وقود مسـتمر لتغذية العمليات العسـكرية المتنقلـة، فـي حالـة مـن التخامد والاسـتعار المتبادل والمبرمج بين الجبهات حسب ظروف الحرب الكلِّية في عموم جبهات النزاع.

الخاتمة

٥-١- ملخص النتائج

سـاهم التنافس الاسـتراتيجي بوجهيـه الدولي والإقليمـي وتنامـي التأثيـر الخارجـي مقابـل اضمحـلال الداخـل لـدى أغلب دول الشـرق الأوسـط، فـي خلـق عـدة جبهـات للتنـازع الاسـتراتيجي، تتنـازع فيهـا القـوى الدوليـة والإقليمية شـبكة متداخلة ومعقدة من التحالفات والخصومات والعداوات.

تأتي الجبهات المتعددة داخل الشـرق الأوسـط وخارجـه، وكأنهـا معـارك في حـرب عالمية كبـرى، فنتيجـة المخاطـر الكارثيـة المدمرة لنشـوب حرب مباشـرة بيـن القـوى النووية، اسـتعيض عنها بالنزاعـات الداخلية ذات البعد الدولي، التي يتواجه فيها فاعلين دوليين.

هـي حـروب مسـتديمة وغيـر منتهيـة، كون الأطراف المتنازعة تنفق فيها ميزانيات ضخمة ومـوارد بشـرية مهمة مـن أجل نيل مكاسـب اسـتراتيجية، لـذا فهـي غير مسـتعدة للتسـليم دون مقابـل، فإذا تعرضت لخسـارة معركة ما تسـتعيض عنهـا في ربح ما فـي جبهة أخرى، والعكس صحيح.

الصين وروسـيا قوتيـن اسـتراتيجيتين لديهما طموحات ومشاريع اسـتراتيجية، ولهما تواجد إما اقتصادي وسياسـي أو عسكري في مناطق حيوية مهمة في الشـرق الأوسـط، إلا أنهما لا تـزالان في بداية إظهار نفسـيهما جدياً كقطبين دوليين منافسين للاستراتيجية الأمريكية.

اسـتراتيجيتان إقليميتان منتميتان للمنطقة ليس جغرافياً وحسب وإنما تاريخياً وعقائدياً ووجدتا لنفسـيهما مداخـل للنفاذ إلى المنافسـة الإقليمية بيـن الاسـتراتيجيات الدوليـة المتضاربـة في الشـرق الأوسـط هما إيران وتركيا. لكل منهما

مصالح وطموحات إقليمية ودولية، فهما من بين المحاور الجيوسياسية الخمسة التي ميزها بريجينسكي في أوراسيا[٤١].

على الرغم من تحطم المشروع الاستراتيجي العربي على وقع المواجهة الاستراتيجية الدولية في الشرق الأوسط، وتغلغل السياسة الإسرائيلية الاستراتيجي في فراغات المنافسة الإقليمية المستجدة في الشرق الأوسط، وبروز صفقة القرن كعملية مركَّزةلخلق تحالفات عربية إسرائيلية، إلا أنها ليست النهاية ولا يزال الوصول إليها مديداً.

الاستنتاجات

تُعَطِّل شبكة التداخل والتعقيد في التحالفات والخصومات والعداوات بين استراتيجيات القوى الدولية والإقليمية المتنافسة في الشرق الأوسط إمكانية تبلور حل قريب للأزمات الناشئة، ما يدفع باتجاه ترسيخ فكرة عودة المسألة الشرقية بكل أبعادها للإحكام بمصير منطقة الشرق الأوسط برمتها.

هذا النوع من الحروب الهجينة المتوالدة في بيئة المنافسة الاستراتيجية الإقليمية والدولية لا تتيح المجال ليكون هناك منتصر ومهزوم، ولا نهاية لها إلا بالرضوخ لتوازنات القوى المتولدة، والتقاء إرادات هذه القوى لعقد الاتفاقات المنظمة للمصالح وفقها.

الاستمرار في الإنفاق في الحرب يهدد مسارات التنمية المستدامة التي بذلت لها الأمم الجهود والأموال، ويعطي مؤشراً خطيراً نحو تهديد مستقبل الأجيال القادمة.

تقف دون تحول الصين وروسيا إلى قوتين عالميتين عوائق جوهرية لا يمكن تجاوز مراعاتها، فهما قوتين متكاملتين من ناحية القوة، ولا تستطيع واحدة منهما بمفردها أن تكون نداً للولايات المتحدة الأمريكية، ما يتيح المجال في إطالة أمد القطبية الأحادية والأمريكية.

إيران وتركيا قوتين إقليميتين منتميتان للمنطقة ليس جغرافياً وحسب وإنما تاريخياً وعقائدياً، هذا بحاجة لتوليد حالة موازنة في الوضع العربي حتى تتحول العلاقة من حالة استقطاب ونزاع إلى حالة تعاون.

الخروج من حالة التحطم العربي بعد معالجة القصور الذاتي والتأثر الخارجي للدولة فيه، وتوليد فرص الفاعلية الداخلية والإقليمية بما يسمح بتوازن العلاقة مع الأصدقاء والأعداء على حدٍّ سواء.

المصادر / المراجع

أبو كريم، منصور (٥ فبراير ٢٠٢٠). صفقة القرن والابعاد الإقليمية لشرق الأوسط. مدونات الجزيرة. مسترجع من:

https://u.pw/ktTsl٢

بريجنسكي، زبغنيو (١٩٩٩). رقعة الشطرنج الكبرى السيطرة الأميركية وما يترتب عليها جيواستراتيجيًا. مركز الدراسات العسكرية،

واشنطن. مسترجع من:

https://ketabpedia.com/تحميل/رقعة-الشطرنج-الكبرى-السيطرة-الأميركي/

بيريس، شمعون (١٩٩٤). **الشرق الأوسط الجديد**. ترجمة محمد علي عبد الحافظ، الدار الأهلية للنشر والتوزيع، ط١، عمان، الأردن. مسترجع من:

https://www.noor-book.com/كتاب-الشرق-الاوسط-الجديد-شمعون-بيريس-pdf

بوكابوس، وفاء (٢٠١٨). أهمية الشرق الأوسط في ميزان القوى الدولي والإقليمي. **الثقل الأسيوي في السياسة الدولية - محددات القوة الأسيوية**. المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، برلين، ألمانيا. ص ص. ٤٦-١٠١. مسترجع من:

https://democraticac.de/wp-content/uploads/٢٠١٨/٠٨/الثقل-الاسيوي-في-السياسة-الدولية-محددات-القوة-الاسيوية.pdf

ديسوا، جيرار (٢٠١٤). **دراسة في العلاقات الدولية. الجزء الأول: النظريات الجيوسياسية**. ترجمة قاسم مقداد. دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا.

ذيابات، خير سالم (٢٠١٦). دور حلف الناتو في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا ١٩٩٠-٢٠١٣. **دراسات: العلوم الإنسانية والاجتماعية**،مج٤٣، ع١. ص ص. ٣٥-٥١. مسترجع من:

https://journals.ju.edu.jo/DirasatHum/article/viewFile/٥٧٦٨/٥٠٤١

زوبيري، وداد (٢٠١٥). حملة نابليون بونابرت على مصر ١٧٨٩-١٨٠١م، [مذكرة مكملة لنيل الماستر تخصص تاريخ معاصر]. كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خضير، الجزائر. مسترجعة من:pdf.٦٩ ((univ-biskra.dz

عبد الحي، وليد (٣ أبريل ٢٠١٣). بنية القوة الإيرانية وآفاقها. مركز الجزيرة للدراسات. مسترجع من:

https://studies.aljazeera.net/en/node/٢٦١٨

المخادمي، عبد القادر رزيق (٢٠٠٨). **الشرق الأوسط الجديد بين الفوضى البناءة وتوازن الرعب**. ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

مداني، ليلى (٢٠١٨). الأهمية الجيو-استراتيجية لمنطقة لشرق الأوسط. الثقل **الأسيوي في السياسة الدولية - محددات القوة الأسيوية**. المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، برلين، ألمانيا. ص ص. ٢٢-٤٥. مسترجع من:

https://democraticac.de/wp-

/content/uploads/٢٠١٨/٠٨/الثقل-الاسيوي-في-السياسة-الدولية-محددات-القوة-الاسيوية.pdf

المسعودي، علي بن الحسين (١٩٩٠). **مروج الذهب ومعادن الجوهر. المجلد الثاني**. الدار الإفريقية العربية، الشركة العالمية للكتاب، الطبعة الثانية، بيروت. مسترجع من:

https://www.noor-book.com/كتاب-مروج-الذهب-و-معادن-الجوهر-للمسعودي-ج-١-pdf

المنذري، طارق (٢٠٢٢). **ظاهرة التنافس الاقتصادي الدولي وانعكاساتها على التعايش السلمي**. *[رسالة ماجستير]*. برنامج الدراسات الاستراتيجية للأمن والدفاع الوطني، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة السلطان قابوس.

هاشم، فراس عباس (٢٠٢١). استعصاءات الجغرافيا روسيا واختراق المخيال الجيوبوليتيكي لمساحة الفضاءات العالمية. شركة دار الأكاديميون للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

وفيق، عادل (١٧ أغسطس ٢٠٢٠). **النص الكامل لمعاهدة لوزان ١٩٢٣ باللغة العربية**. المعهد المصري للدراسات. مسترجع من:

https://eipss-eg.org/wp-content/uploads/٢٠٢٠/٠٨/النص-الكامل-لمعاهدة-لوزان-١٩٢٣-pdf.

London (١٩٩٥) .Adelson, Roger and the Invention of the Middle ,East: Money, Power, and War *New Haven: Yale* .١٩٠٢–١٩٢٢ .٢٤٤+*University Press.* Pp.xii https://www.journals.uchicago.edu/doi/١٠,١٠٨٦/٢٣٥٠٢٥

jun ٩) .Buchholz, Katharina China Steps Up Military .(٢٠٢١ Spending. *Statista Content & Design. https://www.statista.com/military-expenditure-/١٦٨٧٨/chart/by-the-us-china-and-russia*

.(١٩٥٥) .DeNovo, John A Petroleum and the United States Navy before World War I. *Journal ,٤١ of American History, Volume ,٤ Issue March* ١٩٥٥. pp. ٦٤١-٦٥٦. *https://doi.org/١٠,٢٣٠٧/١٨٨٩١٨١*

.(٢٠٢١ June٢٢)GlobalVillageSpace German invasion: Hitler's quest for Russian oil. GVS.https://www.printfriendly.com/p/g/UkngSa

NATO .(١٩٨٤) .Fouquet, David *game focuses on Soviets in Gulf.* The Christian Science .Monitor. https://www.csmonitor

.https://www.csmonitor

- (٢٠٠٧) Shlapentokh,Dmitry Dugin Eurasianism: A Window on the Minds of the Russian Elite or an Intellectual Ploy?.Studies in East European Thought, Vol. ٥٩, No. ٣. Pp. ٢١٥-٢٣٦. https://www.jstor.org/stable/٤٠٣٤٥٢٧٢

الهوامش

- المسألة الشرقية: هي السياسات الأوروبية تجاه السلطنة العثمانية، واستجابة الأخيرة لها، تحديداً في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، وصولاً إلى انهيار السلطنة العثمانية في أعقاب الحرب العالمية الأولى (١٩١٤-١٩١٨).

- مصدر الخريطة: http://www.moqatel.com/openshare/Behoth/Askria٦/GIF_cvt.htm.OsosAmnWat/map٠١

- بروسيا: مملكة ألمانية تكونت من مقاطعة بروسيا بين عامي ١٧٠١ و١٩١٨. كانت القوة الدافعة الرئيسية وراء حركة توحيد ألمانيا في عام ١٨٧١، وكانت الدولة الرائدة في القيصرية الألمانية حتى انحلالها في عام ١٩١٨.

- سعيد، إدوارد (١٩٨٤). الاستشراق: المعرفة – السلطة – الإنشاء. ترجمة: كمال أبو دياب. ط٢. مؤسسة الأبحاث العربية. بيروت: لبنان.

- محفوض، عقيل (٢٠١٨). عودة المسألة الشرقية – تحولات السياسة والدولة في الشرق الأوسط. مركز دمشق للأبحاث والدراسات. سوريا.

- مولوتوف-ريبنتروب عام١٩٣٩موالاتفاقية التجارية الألمانية السوفييتية لعام١٩٤٠م

- اتجاه نشأ بينياً: مثله Z. Brezezinski& S. B. Cohen، أتى وسطاً بين اتجاه سبيكمان والجيل الثاني له: C. S. Gray&E. Luttwak وبين الاتجاه البحري أو الماهانيين الجدد: Lehman & Ackley & General Herres

- الممثلون الجيوستراتيجيون: الدول التي لها قدرة وإرادة قومية كافيتان لممارسة قوتها وتأثيرها خارج حدودها. إنها الأقدر على مناهضة المصالح الأمريكية، لا سيما إذا اجتمعت مع بعضها، وهي فرنسا وألمانيا من الغرب، وروسيا في الوسط، والصين في الشرق، والهند في الجنوب، أما اليابان فليست ممثلا جيوستراتيجياً على الرغم من امتلاكها الإمكانيات.

- القومية العابرة لأوراسية: قومية تتجاوز القوميات التقليدية العرقية بما فيها القومية الروسية

- صفقة القرن: خطة سلام تهدف إلى حل النزاع الإسرائيلي الفلسطيني، أعدها رئيس الولايات المتحدة دونالد ترامب، وتشمل إنشاء صندوق استثمار عالمي لدعم اقتصادات الفلسطينيين والدول العربية المجاورة، عرابها صهر ترامبجاريدكوشنر ٢٠١٩.

- القـوة الصلبـة: تمتلك إيـران برنامجاً نووياً متطوراً نسـبياً قـادراً علـى إنتـاج اليورانيوم (تجـاوز تخصيبه ٦٥٪)، ويحيط بهذا البرنامج الغمـوض مـا يعزز قـدرة إيران علـى الردع الاستراتيجي، وتحوز إيران على قدرات تسلح كيماوية وبيولوجية، وتمتلك قدرات صاروخية بالسـتية ضخمـة ومتناميـة، فهـي نجحت في الحصول علـى نظم صاروخية بالسـتية كاملة من الخـارج، وقامت بتطوير نظـم محلية ذات قدرات فائقة.

- القـوة الناعمـة: القـوة الثقافية مـن حضارة وسـياحة وتأثير عقائدي دينـي ومذهبي خارج الحدود، يضاف إليه القوة السياسية لنظام يمزج الديمقراطيـة بالدين على نحـو نموذجي مبتكر وسياسة خارجية فعّلة ومؤثرة.

- أطلق المسـلمون اسـم "بلاد ما وراء النهر" علـى البلاد التـي يفصلها نهـر "جيحون" عن "خراسـان" التـي تقع وراءه من جهة الشـرق والشـمال، وتعرف الآن باسم "آسيا الوسطى" وتضـم خمـس جمهوريات هـي أوزبكسـتان وطاجيكسـتان وكازاخسـتان وتركمانسـتان وقرغيزستان.

- المحـاور الجيوسياسـية الخمسـة وفـق بريجنسـكي هي: (أوكرانيا، أذربيجان، كوريا، تركيا، إيران)

الملخص

تعتبر منطقة الشرق الأوسـط مساحة جغرافية إقليمية واسـعة التأثير في التنافس الاستراتيجي بيـن قـوى الغـرب والشـرق، وتوالـد القوى الاسـتراتيجية الإقليمية ضاعـف معامل التأثير لهـذه المنطقة على السـاحة الدوليـة، مما يدفع باتجاه تعميق دراسـة تأثير استراتيجيات القوى الإقليميـة والدوليـة فيها. سـعت هذه الدراسـة لتوضيحتطور اسـتراتيجيات القوى الدولية في الشـرق الأوسط، ودخول اسـتراتيجيات القوى الإقليميـة سـاحة الصراع، وما أسـفر عنه هذا التنافـس من مخرجـات إقليمية. اعتمـاداً على المنهـج الوصفـي النوعـي توصلت الدراسـة إلى تثبيت عودة المسـألة الشـرقية بكل أبعادها للإحكام بمصير منطقة الشرق الأوسط برمتها، ولا نهايـة لحـروب المنطقـة إلا بالرضـوخ لتوازنـات القـوى المتولـدة والتقـاء إرادات هـذه القوى لعقـد الاتفاقات المنظمـة للمصالح وفقهـا، وأنـه لا تسـتطيع أي مـن روسـيا أو الصين بمفردهـا أن تكون نداً للولايات المتحدة الأمريكية، ما يتيح المجال في إطالة أمد القطبية الأحاديـة والأمريكية، وأن الخـروج من حالة التحطـم العربي يحتـاج إلى معالجـة القصور الذاتـي والتأثـر الخارجـي للدولة فيـه، وتوليد فـرص الفاعليـة الداخلية والإقليمية بما يسـمح بتوازن العلاقة مع الأصدقاء والأعداء على حدٍّ سواء.

الكلمـات المفتاحيـة: الاسـتراتيجيا– الشـرق الأوسـط – القوى الدوليـة – القوى الإقليمية –

Strategies of Regional and International Powers in the Middle East

Abstract

The Middle East is considered a geographical and regional area with a wide influence in the strategic competition between the powers of the West and the East. The multiplication of regional strategic forces has doubled the influence unit of this region on the international arena, leading towards a deeper study of the impact of the strategies of regional and international powers on it. The current study aims to clarify the development of the strategies of international powers in the Middle East, the entry of the strategies of regional powers into the arena of conflict, and the regional outputs of this competition.Relying on the qualitative descriptive approach, this studyconfirms the return of the Eastern Question in all its dimensions to determine the fate of the entire Middle East region. There is no end to the region's wars except by yielding to the balances of generated forces and the convergence of the wills of these forces to make agreements regulating interests in accordance with them. In addition, neither Russia nor China alone can be an equal to the United States of America, which allows for the prolongation of the American unilateral polarity.Furthermore, getting out of the state of the Arab crash can be achieved by addressing the inertia and the external influence upon the states in it, and generating opportunities for internal and regional effectiveness in a way that allows for a balancedrelationship with friends and enemies alike.